قرأت العدد الماضي من "الآداب"

بقلم

منير البعلبكي

أحب ان أنهج في نقد العدد الماضي من « الآداب » نهجاً جديداً يختلف من النهج الذي درج عليه الزملاء الذين عهدت اليهم رئاسة التحرير في نقد الاعداد العشرة الماضية . ويقضي هذا النهج الجديد بأن يُنظر الى العدد **ككل متماسك** ، لا كأجزاء متفرقة ، ويوضع في ميزان القيمة بوصفه « **عدداً من مجلة** » تعاونت على اصداره اقلام الكتاب والشعراء والمراسلين وجهود قلم التحرير جميعاً ، ليقال بعد إنه **عدد** قوي او ضعيف ، موفق أو قليل الحظ من التوفيق . لا ان يُنظر اليه على أنه **مجموع مقالات او قصائد** يقف الناقد عند كل منها وقفة قد تطول او تقصر ليدلي برأيه فيها ، أو يناقش صاحبها في الطريقة التي اصطنع ، أو في عموم الفكرة التي ذهب اليها أو خصوصها . وهي طريقة حسنة في الجملة ، ولكنها تنطوي على خطر كبير ، هو أن يغفل الناقد — في زحمة الكلام التفصيلي على مادة العدد مقالة مقالة وقصيدة قصيدة — عن شيء هو في التحليل الاخير أهم من ذلك كله بكثير وخير اثراً في توجيه القائمين على أمر المجلة نحو الكمال : أعني تقييم العدد **كعدد** ، والحكم عليه كجهد فكري يمثل إمكانيات المجلة ، ويعكس صورة عن نشاطها شهراً بعد شهر .

وإنما يمكن التأتي لهذا النوع من المعالجة النقدية من زوايا كثيرة . يمكن التأتي له على ضوء رسالة المجلة كما نصت عليها افتتاحية العدد الاول ، أو على ضوء المقاييس العامة التي تُصنع عادة في تقييم مجلة شهرية راقية يُفترض فيها أن تقدم انضج الزاد الفكري الى القاريء وتسمو بثقافته وذوقه ، وتبصره بمشكلاته الكبرى ، وتساعده على تحقيق انسانيته وتوكيد كرامته . كما يمكن التأتي لهذا النوع من المعالجة من طريق النقد المقارن ، وذلك بأن يدرس العدد ، بالمقارنة بالاعداد التي سبق للمجلة إصدارها ليتبين من وراء ذلك ما اذا كان العدد المنقود يشكل خطوة الى الامام او خطوة الى الوراء في نضال المجلة من اجل التفوق على ذاتها ، مرة كل شهر ، والاستجابة الى منطق الحياة القاضي بالتطور الصاعد الموصول . او بان يُدرس العدد من طريق مقارنته بالاعداد الصادرة ذلك الشهر من المجلات المماثلة سواء أكانت هذه المجلات عربية ام اجنبية .

وإني إذ اترك للقاريء ان يحكم على العدد الحادي عشر بالنسبة الى اعداد المجلة السابقة ، وبالنسبة الى اعداد المجلات المماثلة الصادرة في الشهر عينه — وهي مهمة عسيرة جداً كما ترى — ارجو ان اوفق الى تقييم العدد الماضي بالمقياسين الاولين : مقياس رسالة « الآداب » الخاص ، والمقياس الذي يصنع في تقدير أيما مجلة فكرية راقية ، بوجه عام .

★

تتلخص رسالة « الآداب » في الدعوة الى الادب الفعال الذي يتصادى مع المجتمع العربي ويعكس حاجاته ويعمل على إصلاحه ، الأدب الملتزم الذي يعمل على رد الاعتبار الانساني لكل وطني ، وعلى الدعوة الى توفير العدالة الاجتماعية له ، وتحريره من شتى العبوديات المادية والفكرية ، كما ورد في المقال الرئيسي الذي قدمت به المجلة نفسها الى القراء .

فألى اي حد ادى العدد الماضي من « الآداب » رسالة « الآداب » هذه ؟

الذي اراه ان هذا العدد قد ادى رسالة « الآداب » خير اداء في حقلي البحوث والقصائد ، دون حقل القصص . فمعظم بحوثه تعالج جوانب من مشكلاتنا الحياتية معالجة علمية رصينة حيناً (على ما ترى في مقالي « خطوط في تاريخنا » للدكتور الدوري ، و « سلبية حياتنا » للدكتور طعمه) ومعالجة ثورية منفعلة حيناً (على ما ترى في مقالي « الماضي المرفوض » لرجاء النقاش ، و « نحو ادب خالد » لأحمد سويد .)

والقصائد التي انتظمها العدد كلها تقريباً من نوع الأدب الملتزم . فهناك رائعة عبد الوهاب البياتي « مذكرات رجل مجهول » — وهي من أصفى الشعر الانساني وأحفله بالجمالية الفنية التي تعوز آثار الكثيرين ممن يستسهلون الخوض في هذا المضمار . و « صخرة الانتظار » لهارون هاشم رشيد . و « يأس » لعيسى الناعوري — وقد طغى القنوط عليها حتى لكاد ينقلب الى انهزامية — و « ذكريات القرية » لكمال نشأت ، و « العيد المر » لعلي الجندي ، و « نفير الكفاح » لمحيي الدين فارس ، وهذه الاخيرة تضطرم بالثورة العاتية ، وتعمر بالثقة بان انبثاق

الفجر أمسى وشيكاً . بقيت « مقدم الحزن » لنازك الملائكة. والواقع ان هذه القصيدة هي الوحيدة التي لا تنضوي تحت راية الشعر الملتزم ، في هذا العدد ، ولكن فيها من لوعة التجربة ، ونعومة الصور ، وجدة التأتي ما يجعلها قمـــة جديدة في شعر الرثاء عندنا .

اما قصتا العدد فخارجتان عن نطاق الادب الملتزم . واذا كانت اولاهما (نهاية دون خوان لصباح محيي الدين) زاخرة بالحيويـــة والاشراق واللون الاندلسي الحلو ، ففي الاخرى (أوهام لأمينة قطب) عَبَثيّةٌ خطرة تزّهد المرء بالحيـاة ، وتوقع في روعه انها وهمٌ باطل وسخرية كبرى ...

*

فاذا انتقلنا الى المقياس الثاني،وهو المقياس العام او المطلق، ألفينا عدد « الآداب » الماضي حافلاً بالمباحث الجيدة التي تعالج نواحي من حياتنا – وقد نصصنا عليها في القسم الاول من هذه الكلمة – وبالدراسات الخاصة بعَلَم من اعلام النهضة الحديثة من مثل مقال الاستاذ رئيف خوري ، وهو مُدْخل بارعٌ لفهم شوقي وفنه الشعري ، ومقال شاكر حسن سعيد عن « السجين السياسي المجهول » وهو من اعمق البحوث التي قرأتها في تحليل أثرٍ فنيٍّ ما ، ولست اغـالي اذا قلت ان الـكاتب قد رقيَ في مقاله ذاك– ولست انسى مقدمته، فهي مُعجبة – الى مستوى لا يقل عن مستوى الدراسات الفنية التي نقع عليهـا في ارقى المجلات الاجنبية .

ولكن اذا كان العدد الماضي غنياً بالبحوث فانه فقير في القصص . ولست ادري لهذا سبباً إلاّ ان تكون مسابقة القصة التي تجريها « الآداب » قد اجتذبت اكثر الاقلام التي اعتادت اقتحام هذا الميدان ، فغابت موقتاً عن العدد الحادي عشر . ومهما يكن من امر فقد كان يسيراً على قلم التحرير ان يستدرك هذا النقص بقصة مترجمة من روائع الادب العالمي . وعندي ان نشر احـدى القصص العالميـة الخالدة ينبغي ان يُعتبر ضرورة واجبة الوجود في كل عددٍ من اعداد « الآداب » منذ اليوم .

وما دمنا في الكلام عن الترجمة ارى من الخير ان أنص ، ههنا ، على ان حاجتنا ما تزال ملحّة الى ترجمة المباحث العميقة في مختلف فروع المعرفة وبخـــاصة في الفلسفة وعلمي النفس والاجتماع . ومن الأنصاف القول ان قلم التحرير لا يقصّر في هذا الباب ، بشهادة المقال النفيس الذي نقله عن فيليب راف بعنوان « خواطر حول جنوح المذهب الطبيعي الى الزوال » ، ومسرحية «ستة اشخاص يبحثون عن مؤلف»؛ ولكننا نطالب «الآداب» بمزيد من ذلك . وفي استطاعة التحرير ان يُفيد من الترجمة لتقديم بعض المباحث المبسطة التي تعالج نواحي من العلوم الدقيقة (الفيزياء، الكيمياء، الخ .) الى القاريء العربي الظامىء الى هذا الضرب من التثقيف ، لأن خلوّ المجلة من هذه المباحث –وقد خلا العدد الماضي منها فعلاً– يفقدها كثيراً من قيمتها، في عصر أضحت المعرفة العلمية فيه جزءاً لا يتجزأ من الثقافة الحق.

بقي ان نلقي نظرة على ابواب المجلة المختلفات . والحق انها متعددة وغنية ، فهناك الاستفتاء ، والنتاج الجديد ، ومسرحية الشهر، وفكرة الشهر، والمناقشات ، والنشاط الثقافي في الغرب وفي العالم العربي، وصندوق البريد . وكلها تؤذن بنشاطٍ جدير بمجلة تطمع في خدمة القاريء ومساعدته على الألمام بمجريات الحركة الادبية في الوطن والخارج . وإن كنتُ ارى ان بابي « النتاج الجديد » و « النشاط الثقافي في العالم العربي » لم يجيئا هـــذه المرة ، كعهدنا بهما في الاعداد السالفة ، غزارة مادةٍ وشمول تصوير .

*

وقبل ان اطرح القلم احب ان اسجل بعض الملاحظـات الثانوية التي وقعت لي خلال النظر في مقالات العدد الماضي :

خطوط في تاريخنا : الا يعتقد الدكتور الدوري ان الثغرات وعوامل التجزئة التي وجدهـا قوية فعّالة في « اليقظة الحديثة » كانت قائمة كذلك في «النهضة الكبرى» او في المجتمع

صدر حديثاً

الجزء الثالث من سلسلة كنوز
القصص الانساني العالمي التي نقلها الى العربية
الاستاذ منير البعلبكي

أسرة آرتامونوف

(الجزء الثاني)

للقصاص العظيم مكسيم غوركي
وبذلك تتم ترجمة هذه الرواية العالمية الأنسانية
الى العربية ترجمة أمينة كاملة

دار العلم للملايين

الخريف

— الى المهاجرين منّا —

عاد الخريف
فللوريقات اصفرار وارتجاف
ولهنّ في الوادي حفيف
مثل ابتهال الناسكين .
والغيم مرتعشاً يمر
ويهيم يرسم في الفضاء
صوراً يوشيها الضياء .
والذاهبون الى القطاف
يتسابقون ويحلمون
وعلى الدروب
همس الكواعب والطيوب .
وعلى السطوح وفي السماء
وعلى شريط الكهرباء
أسراب رهبان صغار
يتجمعون ... يثرثرون
ولهم الى الدفء اشتياق .
وبهم لهيب الذكريات
لحلاوة الماضي القريب
للروض للعش الحبيب .
ومع الغروب
يرفرفون ... ويرحلون
. . .
فمتى ؟ متى يأتي الربيع ؟
وتعود ...
معطرة الورود
وتعود أسراب السنونو
وبها الى جبلي حنين .

السويداء — **سلامه عبيد**

الاسلامي الذي اعتبره كتلةً واحدةً متراصة ، مع انه كان يضجّ بالمنازعات المذهبية والقبلية والأسرية والعرقية وغيرها ؟ وما الذي قصد اليه بقوله : « اننا انغمسنا في اطار النظريات الاجنبية وانغمرنا في حروب تستند الى « كليشيهات » يصح ان تحصل بين اناس يعيشون في المريخ » ؟

شوقي خاتم القدماء : كانت حملة نابوليون على مصر سنة ١٧٩٨ فهي إذن قد وقعت في اواخر القرن الثامن عشر لا « في خاتمة القرن التاسع عشر » . ولعلها خطأ مطبعي .

سلبية حياتنا : الا يرى الدكتور طعمة ان ما دعاه السلبية السياسية في حياتنا العربية جديرٌ بان يكون محل نقاش ؟ السنا ايجابيين ، بل اكثر من ايجابيين ، في صلاتنا ببعض الدول الكبرى على الرغم من كل ما تضمره لنا من عداء ، وتُظهره من كيد ؟

الماضي الموفوض : غلام اعتمد الاستاذ رجاء النقاش في قوله : « وكذلك لم يعد للفن الروسي في ظل الشيوعية ذلك الاثر الايجابي في اشباع وجدانات الانسان ، والاستجابة للقيم العليا التي تعطي لحياته صفة الانسان ... الخ » ؟

*

وبعد ، ماذا اقول ؟

أأسبّ الدكتور ادريس الذي أبى إلا ان يزج بي في هذا المأزق اللجج — كما عبّر القدماء — برغم اني مثله ، ومثل ضلع المجلة الثالث الزميل بهيج عثمان ، آخر من يحق له الكلام في هذا الميدان ؟

أم احمد له هذه البادرة التي شاء ان يستنّ بها خطةً جديدة تدخل في باب « نقد الذات » Self-criticism الذي يتميز اول ما يتميز بالصراحة ، والنزاهة ، والبعد عن التملق ؟

لستُ ادري !

منير البعلبكي